تعليق على سورة الطور 1

 والطور * وكتاب مسطور * في رق منشور * والبيت المعمور * والسقف المرفوع * والبحر المسجور * إن عذاب ربك لواقع * ما له من دافع * يوم تمور السماء مورا * وتسير الجبال سيرا * فويل يومئذٍ للمكذبين * الذين هم في خوض يلعبون * يوم يدعون إلى نار جهنم دعًّا * هذه النار اَلتي كنتم بها تكذبون * أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواءٌ عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، اللهم نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً ربنا لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وزدنا علماً وعملاً يا أرحم الراحمين هذه السورة من السور العظيمة التي في هذا الجزء ، لما اشتملت عليه من تقرير وحدانية الرب جل وعلا وإقامة الحجة على المشركين في هذا الأمر العظيم وبيان عاقبة المكذبين وبيان عاقبة الموحدين فبيَّن ذلك في أول السورة وبيَّن عاقبة المكذبين في آخر السورة وفيما بينهما بيَّن عاقبة الموحدين ودلائل توحيد الله جل وعلا ولما كانت القلوب حيَّة قال أحد الصحابة رضوان الله عليهم لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوا سورة الطور قال فلما بلغ قوله أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون قال كاد قلبي يطير وهذا لتدبرهم وحضور قلبهم وعلمهم بالحجج التي في هذا القرآن لأنها حجة عظيمة بيَّنة والنبي عليه الصلاة والسلام قرأ سورة

الطور في المغرب كما سمعتم في الحديثين فرَّقها في الركعتين والوقف جار فيما تعود القرَّاء على قوله تعالى فيها : ﴿ إنه هو البر الرحيم ﴾ يعني في الركعة الأولى ، لأن هذا الوقف فيه نهاية مصير أهل الإيمان ثم يبتدئ بعدها في بيان الدلائل قوله ﴿ فذكر ﴾ إلى آخره قوله جل وعلا ﴿ والطور ﴾ الطور في اللغة كما ذكر لك : الجبل الذي عليه شجر ، والشجر هو المعروف ، الكبير يعني الذي يرتفع ويطول والمقصود بالطور هنا هو الجبل الذي كلم الله جل وعلا عنده موسى كما قال جل وعلا ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك ﴾ فهذا الطور شرُف وعَظُم بمناداة الله جل وعلا الكليم عنده ويقال أيضاً إنه هو الجبل الذي تجلى الرب جل وعلا له في قوله سبحانه ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا * فلما آفاق قال سبحانك تبت إليك ﴾ الآية في الأعراف .

القول الثاني : أن الطور هو جنس الجبال التي تسمى في اللغة الطور وهذا القول وسياق ابن كثير يدل على استظهاره هذا وترجيحه له ، لكن هذا ليس بوجيه وذلك لأن المقسمات بها في هذه السورة كلها من الأشياء المقدسة التي عظمها الله جل وعلا فقال ﴿ والطور * وكتاب مسطور * في رقٍّ منشور * والبيت المعمور * والسقف المرفوع ﴾ إلى آخره فهذه الأول في السورة كلها من الآيات العظيمة التي جعلها الله جل وعلا للأنبياء والأمور المقدسة المعظمة ، والطور الذي هو الجبل الذي نادى الله عنده موسى يناسب ماذُكر ثم أيضاً يُقال : إنه لم يأت في القرآن ذكر الطور الذي هو الجبل الذي عليه الأشجار في اللغة ، وإنما يُعنى بالطور

الجبل الخاص المعروف الذي هو في سيناء ، وهذا أولى أن يحمل عليه موارد السياق في القرآن وقال جل وعلا ﴿ وكتاب مسطور ﴾ وهذا القسم كما ذكر لك أنه جل وعلا أقسم بالطور لذكر بعض مخلوقاته الدالة على قدرته ، والكتاب المسطور إذا قلنا إنه هو الكتب التي بأيدي الرسل ، فإنه ليس قسماً بالمخلوقات لأن الكتب الإلهية كلام الرب جل وعلا فإذاً قول ابن كثير في صدر كلامه يُقسم الله ببعض مخلوقاته الدالة على قدرته هذه تحتاج إلى تقييد بأن يكون المراد بـ ﴿ وكتاب مسطور ﴾ اللوح المحفوظ وأما إذا كان المراد الكتاب المسطور الذي هو بأيدي الرسل فإن هذا لا يصلح أن يقال إنه مخلوق لأنه كلام الله جل وعلا ، وأما اللوح المحفوظ فهو مخلوق من حيث أنه لوح ، وفيه من كلام الله جل وعلا ، وفيه من كتابته ، وفيه من تقديره وتفاصيل ما يحصل في ذلك ، والمسطور يعني الذي سطر فيه الشيء والفرق بين الكتابة والتسطير في اللغة أن التسطير أعظم حيث لا يصلح للتغيير والرَق معروف ﴿ في رقٍّ منشور ﴾ والمنشور هو الذي نُشر فعُلِم فإذا قيل إن الكتاب المسطور هو اللوح المحفوظ ، فيصير منه ما هو في رقٍّ ومنشور للملائكة ، وإذا كان المراد الكتاب الإلهي الذي أنزل على الرسل عليهم صلوات الله وسلامه فالمقصود بكونه منشوراً ، أنه الذي ينشر للناس ، فيعلمون ما فيه ثم قال جل وعلا ﴿ والبيت المعمور ﴾ البيت المعمور بيت في السماء كما ثبت في حديث الإسراء ووجوده في السماء السابعة ثابت في الحديث الصحيح والأحاديث في هذا كثيرة لكن ما ذكر من الروايات من أنه يقال له : الصراح أو أنه

بحيال الكعبة لو سقط لسقط عليها وأشباه ذلك ، فهذه لم تثبت بها سنة صحيحة ، وإنما فيها روايات متعددة وإلى هذه الروايات ذهب من ذهب من أهل العلم إلى ثبات الأرض وأن الأرض ثابتة ، والسماوات مكتنفتها من جميع الجهات بحيث إن موقع البيت الحرام واحد لا يتغير لأن موقع البيت المعمور في السماء السابعة واحد لا يتغير ، فلو سقط هذا لسقط على الكعبة فدل عندهم على أن الأرض ليست بدائرة في بحث طويل معروف في هذه المسألة ودلائله من الكتاب والسنة ، المقصود أنه استدل بهذا ، لكن الأحاديث التي ذُكِرت والآثار ليست قوية في كون البيت المعمور لو سقط لسقط على المسجد الحرام أو أن المسجد الحرام أُختير هذا الموقع لكونه بحيال يعني بإزاء ومقابل البيت المعمور .
 والسقف المرفوع * والبحر المسجور * إن عذاب ربك لواقع * ما له من دافع قوله جل وعلا هنا والسقف المرفوع كما سمعت وأن السقف هو السماء ، لأن الله جل وعلا جعلها سقفاً وامتن على أهل الأرض بذلك كما قال سبحانه في سورة الأنبياء وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون و البحر المسجور الأقوال للسلف فيه كثيرة لكن الذي يدل عليه القرآن أولى من غيره ، وذلك أن الله جل وعلا بيَّن لنا أن البحار ستسجر يوم القيامة بقوله وإذا البحار سُجِّرت والمسجور هو المسجر وهو المضطرم ناراً يعني البحر المضطرم ناراً باعتبار ما سيئول إليه ، ولا يمنع أن يوصف بالشيء باعتبار ما سيئول إليه ، لأن إيال الشيء إلى حقيقة ثابتة يصح معها أن يجزم

بهذه الصفة ، ونظيره قوله جل وعلا أتى أمر الله فلا تستعجلوه وأشباه ذلك ، أما قوله جل وعلا إن عذاب ربك لواقع فهذا هو جواب القسم وهذا قسمٌ عظيم والجواب عليه عظيم أيضاً ولهذا نقول إن المقسم به يدل على المقسم عليه يعني يدل على جواب القسم ، ومعنى المقسم عليه أو جواب القسم يعني الشيء والغرض والغاية التي من أجلها أقسم المقسم بقسمه فجواب القسم هو السبب الذي من أجله أقسم ، فلما أقسم الله جل وعلا بهذه الأشياء ؟ .

أقسم بها لأنه أراد تقرير وتأكيد وقوع العذاب فأكد وقوع العذاب بالقسم السابق العظيم بأنواع من المقسم بها وأكد ذلك بقوله إن عذاب ربك بإن وأكد ذلك باللام ، وبهذا اجتمعت هذه على عمر فما قوي قلبه مع قوة هذا الوارد ، فقوله جل وعلا والطور إلى آخره إن عذاب ربك لواقع هذا فيه أن العذاب واقع مؤكد كما أنكم تعرفون الطور وكما أنكم تعرفون الكتاب المسطور والرق المنشور ، وكما أنكم تعرفون السقف المرفوع ، هذه حقائق عندكم واضحة جلية لا برهان عليها يحتاج ، بل هي ضرورية لا يشك فيها أحد فكذلك عذاب الله جل وعلا واقع على الكافرين ليس له دافع وهذا زمن ، القسم العظيم البليغ المؤثر في نفوس أهل الإيمان أو نفوس أهل الإدراك والعقل الصحيح ، وما ذكر عن عمر من كونه أصابه ما أصابه من الغشي والمرض لأجل سماعه هذا القسم والمقسم عليه في قوله إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع يدل على أن الغالب من حال السلف ، والأكثر أنهم يؤثر عليهم القرآن بلا ضعف منهم ، وقد يضعف

القلب ، ويقوى الوارد من القرآن والحجة فيصيب السامع غياب عن الوعي ، وغياب عن الإدراك بسبب قوة ما ورد ، وضعف القلب في ذلك الوقت ، ليس ضعف القلب في الإيمان ، ضعف القلب في استقبال هذا القسم والمقسم عليه ، ولهذا ذهب علمائنا وأئمة السنة إلى أن الأكمل في الحال أن يتأثر المرء بالكتاب وبوعيد الله وبآياته بما لا يخرجه عن الحال الكاملة وهي حال النبي عليه الصلاة والسلام وحال الصحابة وجمهور السلف من أنهم لا يغيبون عن وعيهم بورود مثل هذا الوعيد الشديد ، بل يتأثرون وتجلوا القلوب وتدمع العيون ولكن لا يصلون إلى المرض وأشباه ذلك ، وخرج أهل العلم كثرة ما ورد من ذلك عن بعض الموثوق بهم من أهل السنة من المتزهدة من أنهم كثر عندهم الخوف الشديد بحيث أنه إذا تليت مثل هذه الآيات أصابهم هلع وخوف ربما تركوا معه بعض الواجبات لأجل العذر ، يعني كما حصل لعمر أنه عيد شهراً إن صحت الرواية ، قالوا : هذا لأجل ضعف يقينهم وإيمانهم ونقصهم عن حال الصحابة وحال السلف ، فإن الوارد إذا كان قوياً والقلب ضعيف عن استقبال هذا الوارد فإنه يضعف معه بحيث يلطم هذا الوارد القلب فلا يستفيق من شدة الوارد يعني من شدة المعنى ، من شدة ما فيها ن فقوله جل وعلا هنا إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع هذا ليس فيه إنه للكافرين أو على المؤمنين ، بل هو شدة ما يحصل يوم القيامة وهو يوم عصيب يطول جداً ن فهو عذاب حاصل على الجميع إلا من أمنه الله جل وعلا ، حيث ذكر ذلك في قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة المقصود أن الواجب على

العباد أن يكملوا أنفسهم بحسب ما يستطيعون في تحقيق قوة التأثر بهذا القرآن وأما حال أهل الجفاء والجافين هم الذين لا يتأثرون يسمع آيات الله فلا يجل القلب ولا تدمع العين ، دائماً هذه حاله ، قلبه قاس عن التدبر عن اللين عن الاستكانة لهذا القرآن العظيم ، وهذا كلام الله جل وعلا فيه وعده ووعيده وتهديده وتخويفه ، سبحانه وتعالى ، فلهذا ينبغي على المؤمن أن يُعوِّد نفسه التأثر بهذا القرآن وأن يرقَّ قلبه له ونشكو في مثل هذا الزمن من الجفاء ، وليس من حصول مثل قوة الوارد فيما ورد عن عمر أو فيما كثر عن الصحابة نشكو من عكس ذلك ، وهو ضعف القلوب أو قسوة القلوب عن التأثر بالقرآن ، وكأن الله جل وعلا لم يقسم ، ولم يأت بنذره ووعيده الشديد وهذا لاشك أنه إما من ضعف التدبر أو من قسوة القلوب ، نسأل الله جل وعلا العافية من ذينك الأمرين جميعاً .
 إن عذاب ربك لواقع * ماله من دافع * يوم تمور السماء مورا * وتسير الجبال سيرا * فويلٌ يومئذٍ للمكذبين * الذين هم في خوض يلعبون * يوم يُدَّعون إلى نار جهنم دعا * هذه النار التي كنتم بها تكذبون .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد

فهذه الطائفة من الآيات فيها وصف ما يحصل يوم القيامة فهي تفصيل لإجمال إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع ثم فيها وصف أهل النعيم ووصف أهل الجحيم ، فقال الله جل وعلا يوم تسير الجبال سيرا   يوم تمور السماء مورا * وتسير الجبال

سيرا وذكر لك أن المورد على القول الصحيح هو الحركة في استدارة ، وهذا هو المعروف في اللغة من كلمة مور ، مار يمور موراً ، إذا تحرك في دوران ، ولذلك يقال في القتل بالسكين مثلاً أو بنحوه ، أن هذا بما له مور يعني بماله حركة في استدارة فقوله جل وعلا يوم تمور السماء موراً يعني يوم تتحرك السماء وتدور ، موراً أي حركة ودوراناً والتأكيد بالمصدر من فوائده :

1ـ أن فيه إظهار عظمة الشيء .

2ـ وفيه إظهار هول الشيء .

لأن التأكيد بالمصدر له مقتضيات في علم المعاني في البلاغة ، ومنها التأكيد على أهميته بإظهار عظمته أو ما أشبه ذلك ، وهنا أسند المور إلى السماء وقال يوم تمور السماء مورا وهذا فعل الملائكة يوم القيامة ، والمقصود قبل يوم القيامة ، لأن السماء تتغير وتُبدل ،والأرض تتغير وتُبدل استعداداً لعذاب الله جل وعلا ولذلك اليوم العصيب كما قال يوم تبدل الأرض غير الأرضِ والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار والسماء تنشَق فتكون وردة كالدهان فهذه الآيات يفسر بعضها بعضاً فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان   إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت هذا كله يحصل قبل بعث الناس، قبل قيام الناس للأجساد يعني قيام الناس القيامة الكبرى وبعث الأجساد يعني يحصل ما بين نفخة الصعق ونفخة البعث فإنما بين النفختين يحصل هذا التغير العظيم من مور السماء وتسيير الجبال ونسف الجبال ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا * فيذرها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجاً ولا أمَّتا قال سبحانه وتسير الجبال سيراً *

فويلٌ يومئذٍ للمكذبين * الذين هم في خوضٍ يلعبون ﴾ ويل هذه كلمة تكررت في القرآن وفسرتً بعدة تفسيرات والذي يجعلها أنها كلمة تهديد بالعذاب وقد يكون عذاباً معيناً ، كما قال بعض السلف : إن ويل وادٍ في جهنم وقد يكون جنس من العذاب والتهديد ، وقوله ﴿ ويل ﴾ تهديد بالعذاب ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ هذا تهديد بالعذاب ﴿ ويل يومئذٍ للمكذبين ﴾ تهديد بالعذاب وقد يكون من العذاب وادٍ في جهنم خاص يعذب فيه طائفة من أهلها قال سبحانه ﴿ فويل يومئذٍ للمكذبين الذين هم في خوضٍ يلعبون ﴾ خوض يعني كما ذكر لك أنهم يخوضون ًفي الباطل في رد الرسالة وفي رد التوحيد وفي الاستهزاء بالبعث وبما أخبر الله جل وعلا به فهم مع هذا الخوض يلعبون ، يعني أنهم لم يرفعوا رأساً بالحق ولم يأبهوا به ، بل كان كلامهم في ذلك من جهة اللعب ، وهذ كثير كما قال سبحانه ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون * لاهية قلوبهم ﴾ فالمشركون حتى في حال سماعهم بما جاءت به الرسل ، يلعبون لم يصغوا إليه ولم يرفعوا به رأساً ولم يسمعوه سماع قلب ، ولهذا نفي في القرآن أنهم يسمعون أصلاً فقال سبحانه ﴿ وما كانوا يستطيعون سمعا ﴾ وقال سبحانه ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾ وهذا بسبب أنهم يخوضون في الحق على جهة اللعب ولو سمعوا أو استمعوا فإنه من جهة الأذن ، وهم في جوارحهم وقلوبهم لاعبون ولاهون قال ﴿ يوم يُدَّعون إلى نار جهنم دعًّا ﴾ يعني يساقون غليه بغلظة وشدة ﴿ هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحرٌ هذا أم

أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون الأوامر التي نتوجه إلى من لا يطلب منه أن يتمثل لها كقوله هنا اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم يراد منها التهديد والتقرير ، وهذا كقوله تعالى ذق إنك أنت العزيز الكريم وأشباه ذلك فإن الأمر إذا توجه إلى من لا يراد منه أن يمتثل بل هو ممتثل قصراً لا اختياراً فيكون هذا فيه التوبيخ والتهديد وهو أحد معاني الأمر الثمانية وعشرين .

وقد ذكرنا لكم من قبل أن في مثل قوله تعالى أفسحرٌ هذا أن الفاء التي تاتي بعد الهمز هذه أو الواو ، الواو أو الفاء أو تقولون أفسحرٌ   أفتقولون على الله ما لا تعلمون وأشباه هذا ، الفاء هنا والواو تكون عاطفة على جملة محذوفة تقدر ما بين الهمز والفاء ، وتحذف بدلالة السياق عليها أو لأنها مفهومة فقوله تعالى هنا أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون يعني أتقولون إنكم لستم في عذاب ، فسحر هذا أم أنتم لا تبصرون أو ما أشبه ذلك من التقارير ، والهمز مثل ما ذكرنا لكم مراراً في الآيات ، إذا كان ما بعدها مثبت ، فإن الهمز يكون للتوبيخ والتقرير وإذا كان ما بعدها غير مثبت غير واقع فإن الهمز تكون للإنكار ، وتر أن المفسرين يكثرون من هذا ، فيقولون هذا إنكار من الله جل وعلا ، ويقولون هذا توبيخ وتقريع وهذا ليس من جهة المعنى الذي لا ضابط له ، بل هذا مضبوط في النحو ، فإن الهمزة إذا كان ما بعدها مثبت تكون للتوبيخ والتقرير ، وإذا كان ما بعدها غير مثبت فإنها تكون للإنكار ، مثال ذلك بما هو أوضح بهذا المكان في قوله سبحانه أإله مع الله هنا تزيل الهمز

فيكون الكلام إله مع الله ، وهل إله مع الله مثبت ولا منفي ؟ منفي غير مثبت فإذاً يكون الهمز هنا للإنكار أإله مع الله إله مع الله هذا منفي لا إله إلا الله ، فيكون الهمز هنا إنكار تسلط على غير مثبت على منفي ، وإذا كان ما بعدها مثبت فيكون للتوبيخ والتقرير كقوله أتقولون إن مع الله آلهة أخرى هنا تشيل الهمز فيكون الكلام تقولون إن مع الله آلهة أخرى هذا ثابت أم غير ثابت ؟ ثابت ، قالوا ذلك ، فتكون الهمز هنا للتوبيخ والتقرير في أشباه هذا كثير في القرآن لكن هذا هو الضابط والمعنى يختلف بحسب ما ذكرنا ثم قال تعالى إن المتقين في جنات ونعيم طبعاً الهمز له معاني كثيرة .

س :

ج : طبعاً الهمز له معانٍ كثيرة ، لا يأتي دائماً إما توبيخ أو إنكار ، قد يكون الهمز للتقرير ، قد يكون الهمز لطلب الاستفهام ، أدخل محمد ؟ هذا أيش ؟ هذا لطلب الفهم قد يكون للتقرير مثل ألم أعهد إليكم يا بني آدم هذا للتقرير بل عهد سبحانه وتعالى وإذا كان هذا المخاطب بمثل هذا مقر أصلاً ومتذكر هذا الإقرار فتكون الهمز للإنكار ، لأنك تزيل هذا تقول : لم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان هذا مثبت ولا منفي ، عهد هو سبحانه أو لم يعهد ؟ عهد وهناك قال : لم أعهد وهذا النفي منفي ، لأنه سبحانه عهد ، فإذاً تكون الهمز للإنكار ولهذا نقول : إذا توجه إلى متذكر فتكون للإنكار وإذا توجه لغير متذكر يعني في هذا الموطن تكون للتقرير .

س :

ج : هذا تنظرونه في كتب حروف المعاني في بيان أحوال الهمزة مثل مغني اللبيب وغيره .
 إن المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم الآيات الكلام عليها واضح لكن في قوله
وزوجناهم بحورٍ عين ما يعطى أهل الجنة من النساء على قسمين :
1ـ نساء من أهل الجنة .
2ـ ونساء من أهل الدنيا .
فنساء الدنيا هن الزوجات كما ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال (أول زمرة يدخلون الجنة على صورة البدر لكل منهم زوجتان وحُمِل هذا على أنه زوجتان من أهل الدنيا ، وأما الحور العين فهن زوجات من أهل الجنة ، فالحور العين لسن من أهل الدنيا بل الله جل وعلا يزوج أهل الجنة من نساء الجنة هنا لفظ زوجناهم يعني أنكحناهم بالحور العين وبالمفهوم أن نساء الدنيا هنا سبق زواجها من الرجل وهذا واضح في بعض الأحوال ، يعني فيمن مات وزوجته معه ولم تتزوج بعده ، وأما المرأة إذا تزوجت بعد الرجل فإنها تخير أي الرجلين تريد هل تريد الأول أم تريد الثاني ؟ من أهل الدنيا فإذا تزوجت اثنتان ثلاثة من رجال الدنيا فإنها تخير في الجنة من تريد منهم ، والنساء أيضاً الذين لم يتزوجن في الدنيا يُخيرن فيمن يتزوجن به في الجنة ، يعني أن لكل أحد زوجة ، فالرجل له زوجة أو زوجات ، وكذلك كل امرأة لها زوج في الجنة ممن كتب الله جل وعلا لهم الجنة .
س :

ج : أجمل ؟ لا صفات نساء الدنيا غير صفات الحور العين ن الحور العين لهن صفات أخر كأنهن بيضٍ مكنون .
س :
ج : هو كلام العلماء على أنها تُخير لكن هو ظاهر في الموت إذا مات عنها زوجها وأخذت غيره ظاهر أنها تخير مثل ما جاء في بعض الأحاديث .
 والذينآآمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئٍ بما كسب رهين * وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون * يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم * ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون * وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا إنَّا كنا قبل في أهلنا مشفقين * فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم * إنَّا كنا من قبل ندعوه إنه هو البَّر الرحيم قوله جل وعلا والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين
سمعت ما فيها وأن قول الأكثر من أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم أن المقصود بالذرية هنا الأبناء ، وأن الابن إذا تبع أباه في الإيمان وإن قصر في العمل فإنه إذا دخل الجنة بسبب إيمانه فإنه يرفع إلى منزلة أبيه ، وهذا فضل من الله جل وعلا ونعمة وهذا ظاهر من جهة أن معنى الذرية يعنى الأولاد ، والقول الثاني وقد سمعته أيضاً في كلام ابن كثير ، أن المقصود بالذرية هم الأباء . والذين أمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان يعنى واتبعتهم آباءهم بإيمان لأن كلمة ذرية في اللغة تطلق في الأكثر على الأبناء وتطلق أيضاً على الآباء باعتبار السبب

كما قال جل وعلا في سورة يس وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فإن تفسير الجمهور في قوله ذريتهم في آية يس وآية لهم أنا حملنا ذريتهم يعنى آبائهم لأن الله امتن على الحاضرين بحمل الماضين في الفلك المشحون . وهذا يعنى أن كلمة ذرية تطلق على الأبناء وتطلق على الآباء فإطلاقها على الأبناء بالأصل وإطلاقها على الآباء لأنهم السبب لهذا اختلفوا هل يلحق الأب الابن إذا كان الابن أرفع منزلة وذكر ذلك أن قول الأكثرين أن الذرية في هذه الآية هم الأبناء ، وقال طائفة من أهل العلم أيضاً يدخل فيها الآباء لأن هذا فضل من الله جل وعلا ونعمة ومن تمام لذة الكامل الذي رفع الله درجته أن يلحق به ابنه إن كان أقل منه درجة ، وأن يلحق به أبوه إذا كان أقل منه درجة وهذا فضل من الله جل وعلا ونعمة ، والآية فيها دلالة على هذا القول ولأن كلمة ذرية لا تتعين في اللغة ولا في استعمال القرآن على أحد الوجهين دون الآخر كما ذكرنا لكم في آية يس .

وإن كان الظاهر فيها والأولى هو قول الجمهور في أن الذرية هنا المقصود بهم الأبناء وهو الذي عليه قول جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم .

 والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء قوله هنا واتبعتهم ذريتهم هذا قد يرجح القول الأول وهو أن الذرية المراد بهم الأبناء دون الآباء ، لكن قال الآخرون كلمة اتبع لا تعنى أنه أتي بعد فأتباع الرسل اتبعوا الأنبياء سواء منهم من أتي قبل أو منهم من أتي بعد وهذا جواب ، وقوله تعالى الحقنا بهم

ذريتهم هذا يعم الطائفتين ففيه مدخل لأصحاب القول الثاني ، وكلمة إيمان والكلام على أولاد المشركين فيما ساقه ، من أن خديجة سألت النبي عن ولدين لها ماتا في الجاهلية فقال (هما في النار) هذه هي المسالة المشهورة بمسألة أولاد المشركين ، وفيه أقوال كثيرة متعددة لأهل العلم عشرة أو أكثر والصحيح فيها أن أولاد المشركين موقوف الحكم عليهم وأمره حتى يُختبر في الآخرة . كما ثبت في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن أولاد المشركين فقال (الله أعلم بما كانوا عاملين) يعنى لو بلغوا فأدركوا الله أعلم بما كانوا عاملين فيختبرون من جنس من يُختبر في عرصات يوم القيامة والله سبحانه وتعالى أعلم بما يؤول إليه أمرهم .

فقوله عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث ((هما في النار)) يدل على أنه عليه الصلاة والسلام يعنى على القول المختار أُطلع على حالهم ، وأُطلع على شأنهم وأخبر بذلك ، أما أولاد المؤمنين فهم في الجنة بالإجماع من توفي من أولاد المؤمنين قبل البلوغ بعد نفخ الروح إذا سقط بعد نفخ الروح فيه سقط ميتا إلى ما قبل البلوغ إن مات فهو في الجنة بالإجماع ولا ينبغي أن يحكى خلاف في هذا أو أن هؤلاء يقال فيهم الله أعلم بما كانوا عاملين ، بل نقول هذا في أولاد المشركين أما أولاد أهل الإيمان فهم في الجنة ، وهذا من جهة الجنس ، أما المعين فإنه لا يشهد له ولهذا لما قالت : عائشة للنبي عليه الصلاة والسلام في أحد الصغار لما مات قالت طوبى له عصفور من عصافير الجنة قال : ((يا عائشة وما يدريك))

أن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً يعنى فيه أنه لا يشهد لمعين بل يقال في الجنس أولاد المؤمنين في الجنة ، أما المعين نفسه الذي مات فلا يشهد له بذلك من جهة الاحتياط ، ولهذا يُدعى لمن مات صغيراً سواء كان سقطاً بعد نفخ الروح فيه أو من هو دون البلوغ يعنى من أول أمره إلى ما قبل البلوغ لا يدعى له بالمغفرة ، وإنما يدعى في صلاة الجنازة على الصغير يدعى لوالديه أما هو فلا يدعى له بالمغفرة ، وإنما يدعى لوالديه كما قال العلماء ويسأل الرب جل وعلا أن يكون فرطاً لوالديه في الجنة وشافعاً لهما . والأحاديث في الدعاء للصغير ثابتة ومعروفة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه اللهم نسألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً وقلباً خاشعاً نعوذ بك اللهم من الرياء والسمعة ونعوذ بك مما استعاذ بك منه الأنبياء والصالحون ...... أما بعد .

فقول الحق تبارك وتعالى في هذه السورة العظيمة سورة الطور وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون * يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم قوله وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون هذا فيه ذكر لجنس اللذة بالمآكل والمشارب فإن أنواع اللذات الحاصلة في الدنيا ثم جنسها يحصل في الجنة فالإنسان في الدنيا يلتذ بالطعام ، ويلتذ بالشراب ، ويلتذ بما يرى ويلتذ بما يسمع ، يلتذ ببعض ما يرى ويلتذ ببعض ما يسمع وتلتذ نفسه برؤية تميزه عن غيره وتلتذ نفسه بأهله وتلتذ نفسه بخدمه وتلتذ نفسه أيضاً بولده ، إلى غير ذلك من أنواع أصول

اللذات في الدنيا فالله جل وعلا جعل الدنيا فيما فيها من جنس اللذات وفيما فيها من جنس العذاب والعقوبة والمؤذيات ، جعل ذلك جنساً لما في الآخرة فاللذات في الدنيا ، في الآخرة لذات أعظم منها . وأجل . والسيئات والمؤذيات في الدنيا في الآخرة ما هو أعظم منها وأقبح فإذا رأيت لذة في الدنيا أو سمعت بها أو تلذذت بها على أي وجه كانت فاعلم أن في الآخرة ما هو أعظم منها وكذلك إذا أمر بك مؤذٍ في الدنيا بأي أنواع الأذى النفسي والحسي ومن جهة الرؤية ومن جهة السماع أي نوع من أنواع المؤذيات ففي الآخرة أعظم منه وأقبح من أنواع المؤذيات في النار ، ولهذا لما سئل بعض أهل العلم فقيل له إن في الدنيا من أنواع المخلوقات ما هو مؤذٍ للإنسان ولا نفع فيه ، فما الحكمة في وجوده ، قال لتتذكر بالمؤذيات أنواع النكال في الآخرة فإذا رأيت لذة في الدنيا فهي تذكير باللذة الدائمة في الجنة وإذا رأيت مؤذياً في الدنيا فهو تذكير بالمؤذيات في الآخرة وهذا يجعل قلب المؤمن حياً دائماً فيما يرى مما يسره ، وفيما يرى مما يسؤه فيتذكر بما يسره نعيم الجنة ويتذكر بما يسؤه وما ينغص عليه عيشه العذاب في الآخرة والله جل وعلا هنا قال وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وهذا من أنواع المطعومات الذي تحصل به اللذات المطعومة ، ثم قال في أنواع المشروبات وقال يتنازعون فيها كساً لا لغو فيها ولا تأثيم وقال ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون هذا نوع من اللذات إلى آخره وقبلها في لذات الأولاد حتى قال بعض الناس لم تفاوت الناس في المنزلة في الجنة ؟ .

أقل من مناسبة هذا التفاوت العظيم في الجزاء في الآخرة إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدري في السماء وقال بعض أهل العلم في جواب هذا السؤال قالوا : لأن رؤية القاصر من تمام لذة الكامل ، فالله جل وعلا جمع لأهل الجنة أنواع اللذات حتى أنه في الدنيا كما يلتذ الغني أو السيد أو الكبير ، يلتذ برؤية من هو أقل منه فكذلك في الجنة يحصل له هذه اللذة فما من لذة في الدنيا إلا وفي الآخرة يعنى في الجنة ما هو أعظم منها ، بل وما قبل الجنة ، فالفزع في الدنيا والأمن في الدنيا ثم مثال له في عرصات يوم القيامة .

المقصود أن هذا تذكير بالجنس وفي القرآن تنتبه لهذا كثيراً فإنه في الآيات يُذكر جنس اللذات بأنواعها فتحيط بأنواع اللذات في الموطن ، وتارة تذكر طائفة من اللذات ولا تذكر طائفة لمناسبة المقام ، ففي بعضها يذكر شيء ولا يذكر نوع آخر لأجل مناسبة المقام .

هنا قال جل وعلا وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون * يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم قوله كأساً لا لغوٌ فيها ولا تأثيم فُسِرت بأنها الخمر وهذا تفسير صحيح لقوله لا لغوٌ فيها ولا تأثيم ونسبة اللغو أن يكون في الكأس قال لا لغوٌ فيها يعني لا لغو في الكأس ولا تأثيم في الكأس ومعلوم أن ما هو في الكأس من المشروب لا يُوصف بأنه لغو ولا يوصف بأنه تأثيم ، إنما هو وسيلة للغو ، ووسيلة للإثم والخمر يطلق عليها إثم بإعتبار ما تؤول إليه إذا شربت كما قال الشاعر :

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذاك الخمر تفعل بالعقول

فقوله لا لغوٌ فيها يدل على القاعدة المعروفة أن الوسائل لها أحكام الغايات وكذلك لها اسم الغاية فيطلق على المبتدأ اسم المنتهى ويطلق على الوسيلة اسم الغاية باعتبار الاشتراك في الحكم فسميت الخمر إثم وسميت لغو وسميت تأثيم لأنها كذلك وقوله جل وعلا وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنَّا كنا قبل في أهلنا مشفقين يتساءلون عن أي شيء حذف ما وقع عليه السؤال وذلك لعظمته وأنه في العلم به في مقام المعروف لفظاً وحساً وحاضراً فلا يحتاج إلى التنصيص عليه لمقام ظهوره وبيانه ولعدم الحاجة إليه قال : يتساءلون يعنى يتساءلون عمّا هم فيه من النعيم كما في مواضع يحذف المفعول سواء كان مما يتعدى إليه الفعل بنفسه أو بحرف الجر يحذف لغايات منها ما ذكرت لك ، وهذا هو الذي يناسب هذا الموضع فقوله : وأقبل بعضهم على بعض يعنى أهل الجنة يتساءلون يعنى كيف دخلنا الجنة ؟ ما الذي عملناه ؟ فقال بعضهم كذا ، وقال بعضهم كذا مما قص الله جل وعلا علينا هنا ، فقال سبحانه قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فذكروا أعظم صفة من صفات أهل الجنة وهى أنهم كانوا في الدنيا مشفقين وهذا يبين لك عِظم شأن الخوف والإشفاق من عذاب الله جل وعلا فإنه لا يجتمع ذكاء النفس مع الأمن ، لا يجتمع طيب النفس وذكائها وتقربها إلى الله جل وعلا مع عدم الخوف من الله جل وعلا والإشفاق بل كل عبد من عباد الله من المقتصدين أو من المسابقين بالخيرات فإنه

خائف وجلُ مشفق من عذاب الله سبحانه وتعالى ولهذا ذكروا صفتهم الخاصة أنهم كانوا في أهلهم مشفقين قال جل وعلا قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين وقوله في أهلنا تنبيه بالأدنى على الأعلى لأن ذكر الأهل أو وجود المرء مع أهله مدعاة لاطمئنانه وأمنه وعدم خوفه فذكر أنهم كانوا مشفقين في حال وجودهم مع أهليهم ، معنى ذلك أنه في غير هذه الحال التي هي حال اللهو وحال الدعة وحال الطمأنينة هم أولى بالإشفاق فمعنى هذا أن الإشفاق مداوم معهم دائماً على خوف وعلى وجل لأن ذكر الأهل أو وجود المرء في أهله مدعاة لعدم خوفه وإشفاقه كما ثبت في الصحيح أن رجلاً شكا إلى النبي ما يجد في قلبه فسأله لم فقال : أنا يا رسول الله إذا كنا عندك وجلت قلوبنا وكأننا نرى الجنة رأى العين وإذا ذهبنا إلى بيوتنا عافسنا النساء ولهونا مع الأهل ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : ((لو تدومون على ما أنتم عندي لصافحتكم الملائكة في الطرقات . ولكن ساعة وساعة)) وهذا في حال الاطمئنان كان أهل الجنة مشفقين ، وهذا يدل على عظم هذه الصفة وهى التي ينبغي على طالب العلم وعلى كل مسلم أن يتعاهدها في نفسه .

حالة الإشفاق والخوف لأنه إذا عود نفسه عدم الخوف والتعبد بهذه العبادة العظيمة فإن الشيطان يأتيه من جميع الأبواب قال : فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم المنّة هي الإعطاء بلا مقابل فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم يعنى أعطانا هذه الجنة ووقانا عذاب السموم بلا مقابل يعنى لم نعمل شيئاً ولم نقدم شيئاً به يحصل لنا دخول الجنة

والنجاة من عذاب السموم ، وهذا ظاهر المعنى لأن دخول أهل الجنة الجنة ونجاة أهل الجنة من النار هو بفضل الله جل وعلا وبرحمته وليس ذلك لأجل أعمالهم ، وإنما الأعمال بها رفعة الدرجات .
الأعمال بها رفعة المنازل واختلاف المنازل ، أما أصل دخول الجنة وأصل التزحزح عن النار فإنما هو منَّة من الله جل وعلا ، إذ هذا الأمر الجلل لا يقابله الأعمال التي يعملها العباد ، ولهذا ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال : ((لن يُدخل أحداً منكم الجنة عمله . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل))
فأصل دخول الجنة منّة ، وأصل التزحزح عن النار منّة ، لهذا في آية آل عمران قال : فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز فدخول الجنة هو منّة من الله جل وعلا ، والأعمال سبب من الأسباب وليست مقابلة ، ليست مقابلة بدخول الجنة ، يعنى ليست عوضاً . ليست الجنة عوض عن الأعمال ، لكن الأعمال سبب في دخول الجنة سبب في رحمة الله سبحانه وتعالى كما قال : أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقوله سبحانه وتعالى إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم يعنى بالدعاء هنا دعاء المسألة أو دعاء العبادة ، فيشمل الحالين فقوله إنا كنا من قبل ندعوه يعنى نعبده أو نسأله أن يعطينا الجنة وأن يزحزحنا عن النار ، ولهذا كانت عائشة تسأل فهمت من الدعاء هنا دعاء المسألة وقوله ندعوه يشمل الحالين دعاء العبادة ودعاء المسألة أنه هو البر الرحيم فقوله هنا إنه هو البر الرحيم هذا تعليل لأن مجيء إن في مثل هذا المقام يفيد التعليل ، تعليل المنّة عليهم ، تعليل

دخولهم الجنة تعليل نجاتهم من النار ، تعليل هذا النعيم الذي هم فيه ، أنه جل وعلا برٌ رحيم سبحانه وتعالى ، والبر هو الذي يعطى بلا منّة يعطى عطاءاً واسعاً بلا منّة فيه ، والرحيم معروف وهو المتصف بصفة الرحمة وقوله هنا إنه هو البر الرحيم هذا الضمير ضمير الفصل هو يكثر في القرآن ، ضمير الفصل هو هذا يكثر في القرآن وهو ضمير لا محل له من الإعراب يؤتى به في الفصل ما بين المبتدأ والخبر لإزالة اشتباه الخبر بالنعت ، فمثلاً هنا أصل الكلام الله البر الرحيم لو قال : إن الله البر الرحيم لا شتبه أن تكون البر الرحيم نعت لله أو هي خبر ؟ ما ندرى مثلاً نقول : محمدُ القادم ، ما ندرى هل تريد القادم تخبر عن محمد بأنه القادم ، أو تريد تصف محمد ، تنعته بأنه القادم والخبر سيأتي ، محمد القادم عالم أو تريد محمد هو القادم فيؤتى بضمير الفصل هنا من جهة النحو للفصل ما بين الخبر والمبتدأ لإزالة اشتباه الخبر بالنعت هذا من جهة النحو ، ومن جهة البلاغة فإن مجيء ضمير الفصل ما بين الخبر والمبتدأ أو ما أصله أو ما خبر إن واسمها ، أو خبر كان واسم كان إلى آخره . هذا يفيد التأكد . وتحقق الصفة وهذا كثير في القرآن فإذا أتى ضمير الفصل فإنه يفيد التأكد ، تأكيد الكلام وتحقق الصفة يعنى تحقق الصفة التي في الخبر للمبتدأ . مثلاً في قوله جل وعلا الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها * الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين لاحظ الخاسرين خبر كان ، وهم جاءت ضمير فصل لا محل له من الإعراب ، ما تقول : كانوا هم الخاسرون كانوا هم الخاسرين فهم كأنها غير موجودة من جهة الإعراب ، وتسلط

ما قبلها على ما بعدها هنا تفيد تحقق تأكيد والوصف بالخسارة ، وتحقق هذا الوصف فيهم كانوا هم أظلم وأطغى هنا إنه هو البر الرحيم   أن الله هو السميع البصير لتحقق تأكيد الكلام والتعليل وتحقق الوصف .
فبهذا يتضح لك مثل هذا التعليل في دعائهم وعِظم مناسبته إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم فتوسلوا إلى الله جل وعلا بصفاته وليس فقط توسلاً بالصفات لكن أكدوها واستعملوا الألفاظ الدالة على تحقق الصفة في الحق جل وعلا وعلى ثبوتها له ، ليكون أعظم في وسيلتهم ، ومعلوم أن الألفاظ هي قوالب المعاني وأعظم ولهذا أعظم ما يكون من الدعاء الذي يستعمله المؤمنون هو الدعاء المأثور ، لأن فيه من المعاني البلاغية والمعاني الشرعية ما يعجز الناس عن إنشاء دعاءٍ يكون شاملاً قوياً عاماً بليغاً مثل الأدعية في الكتاب والسنة لا من جهة إنشائها ولا من جهة التعديلات .
س : ـ
أسماء الله جل وعلا أعلام وصفات استدلال صحيح . لأنها لو كانت أعلاماً محضة ما صار فيها هذه الفائدة اللي هي مجيء هو في الكلام العربي كلها في الصفات ، دائماً هو لتأكيد الوصف ولآن مجيء الفصل للتفريق ما بين الخبر والنعت هذا استنتاج جيد جزاك الله خير .
قال الله تعالى فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون * أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون * قل تربصوا فإني معكم من المتربصين * أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون * أم

يقولون تقوله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله واشهد أن لا إله إلا الله . وأن محمداً عبده ورسوله مصطفاه . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .... أما بعد : ـ

قال الله جل وعلا فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون * أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين هذه الآيات فيها تقرير رسالة النبي وأنه عليه الصلاة والسلام مرسل من ربه لا مرية في ذلك ولا شبهة وفيها دلائل النبوة ، وذلك أن المتقرر أن دليل نبوّته نبينا راجع إلى أشياء منها أن ما أتى به من القرآن ليس هو بكلام الشعر كلام الكهنة ، ولا كلام الشعراء ، ولا كلام البشر ، وهذا ظاهر في الآيات في آخرها فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين وفيهم الخطباء ، وفيه الشعراء ، وفيهم الكهنة ، وفيه عادى الناس فإنهم لم يستطيعوا أن يأتوا بحديث مثله ، وهذا نوع من أنواع الأدلة ، والنوع الثاني : من أنواع أدلة النبوّة أن الله جل وعلا أمر نبيه عليه الصلاة والسلام أن يتحداهم وأن يقول لهم هذا الكلام ثم هم على اجتهادهم في دحض الرسالة وعلى ردها ، والسعي في جمع ما يظنونه به انه مبطل للرسالة مع تحديهم لم يأتوا بشيء من ذلك بل عجزوا ورجعوا القهقرى ، وهذا دليل لآخر لأنهم لو كانوا عندهم شيء لبذلوه وقولنا : لو كان عندهم شيء ، يعنى عند الجن والإنس جميعاً ، لأن من الإنس كهنة والكهنة متصلون بالجن ، ولهذا قال جل وعلا قل لئن اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا

بمثل هذاالقرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً والنوع الثالث : ـ من الأدلة التي في هذا المقام أن النبي كِيد به بأنواع من الكيد لقتله ولإيذائه والله جل وعلا جعل له من كل ضيق مخرجا ، وهذا تأييد خاص له عليه الصلاة والسلام لأنه مرسل لإبلاغ رسالة ربه ولم يتم الإبلاغ وقد قال جل وعلا لنبيه عليه الصلاة والسلام يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وهذه الآية مدنية كما هو معلوم أنها من سورة المائدة وفي سبب نزولها ، لكن هذه عامة إن المشركين فعلوا ما فعلوا لقتله عليه الصلاة والسلام ولكن لم يفلحوا حتى إنه عليه الصلاة والسلام ذر عليهم شيئاً من رمل في عيونهم فغشيت أبصارهم فلم يبصروا شيئاً كما قال جل وعلا في سورة يس وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون

والفعل القليل مثل هذا . مع عظم الكيد لا يكون إلا لنبي والعلماء تكلموا كثيراً في دلائل النبوّة وأنواع براهين النبوة في كتبهم من أهل السنة ومن غيرهم . المقصود أن هذه الآيات اشتملت على هذه الأنواع الثلاثة بوضوح من دلائل النبوة قال جل وعلا فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون وقوله بنعمة ربك الباء هنا هي الواقعة في خبر ليس ومفيدة للمصاحبة لأن ما هذه تعمل عمل ليس . ما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون يعنى الباء في بكاهن ولا مجنون ، وأما الباء في قوله بنعمة ربك فهذه للمصاحبة ، وهذه لها فائدة من جهة البلاغة أن نعمة ربك عليك قد أصبحت لصيقة بك فلا إنفكاك

لها عنك ولا إنفكاك لك منها لأن الأصل في الباء في اللغة أن تكون للإلصاق ، وإلصاق الذوات بالقرب ، وإلصاق المعاني بالملابسة وإذا كان كذلك فمعنى الآية فما أنت بكاهن ولا مجنون لأجل ملابسة النعمة لك وإلصاقها بك وعدم إنفكاكها عنك ولا إنفكاكك عنها وإذا كانت نعمة الله جل وعلا موصولة بهذا ، فهذا يعنى أنه لن يضره شيء ، وهذا استئناث له عليه الصلاة والسلام وتثبيت لأنه أمر بالتذكير ، ومعلوم ما أصاب النبي عليه الصلاة والسلام في مكة من الشدة من المشركين وأشياعهم .

قوله بنعمة ربك فيها بحث من جهة أن النعمة أخص من الرحمة ، فنعمة الله جل وعلا فرع من فروع رحمته سبحانه وتعالى ورحمة الله جل وعلا فيها العموم للجميع وأما النعمة ففيها خصوص والنعمة هي من الله دائماً ولكن هنا أضافها إلى الربوبية لتأكيد عظمها وأنها من المتصرف المدبر لكل شيء والكهانة والجنون هذه تكلم عنها ابن كثير رحمه الله ، ومعلوم شأن الكهان وشأن المجنونين ، والمقصود بالمجنون هنا ما يشمل نوعين : ـ

الأول : ـ من به مس من جنون فينطق الجني على لسان الإنس .

والثاني : ـ من به جنون في عقله ، والمجنون في عقله قد يقول كلاماً حسناً وقد يقول كلاماً مرتباً فيه حكمة ، كما قالت العرب :

خذ الحكمة من أفواه المجانين .

والأول أظهر يعنى أن المقصود من به مس جن لأن أكثر المفسرين على هذا والريب في قوله نتربص به ريب المنون الريب يطلق على معانٍ في القرآن ومنها أصل معنى الريب وهو الشك كما في

قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه ويطلق الريب بمعنى الحاجة لي ريب في كذا يعنى لي حاجة في كذا . كما قال الشاعر :

قضينا من تهامة كل ريب وخيبر ثم أجمعنا السيوف

معنى الحاجة يعنى قضينا من تهامة كل حاجة وفي هذا الموطن فسر بأن الريب إذا أضيف إلى المنون . يعنى به الحاجة . وهذه الحاجة إذا كانت في موقع التعدي كما هنا نتربص به ريب المنون يعنى حاجة المنون إذ هم محتاجون إليها .

والوجه الثاني أن ريب المنون كلمة تقال ، والريب هنا بمعنى الشك وريب المنون قيل كذلك لأن من عاين الموت أصابه الشك وأصابه القلق ، يعنى أن كلمة ريب على معناها الأول ، أو على المعنى الثاني وهناك استعمالات للريب في القرآن متعددة ، المقصود أن قوله : أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون هذا قولهم : قل تربصوا فإني معكم من المتربصين وهذا هو التهديد وعدم المبالاة إلى أن قال جل وعلا في آخرها : أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين

وهذا يعنى به القرآن ، والقرآن تحدِّى به على ثلاث مراحل : تحدى بأن يأتوا بمثل القرآن كما في هذه الآية ، وهذا في الأول في العهد المكي وتحدى بأن يأتوا بمثل عشر سور ، وذلك في أواخر العهد المكي كما في سورة هود بعشر سور من مثله مفتريات ومعلوم أن سورة هود في آخر العهد المكي وتحدى أيضاً بأن يؤتي بسورة وهذا كله والسور هنا سورة قصيرة أو سورة طويلة ، وهذا كله لم يقدر المشركون عليه .

إذا تبين ذلك فها هنا بحث في مسالة إعجاز القرآن كما هو معلوم والبحت فيها يطول إذا لأنها صنفت فيها مصنفات تكلم العلماء بها كثيراً لكن ننبه إلى أن أهل السنة والجماعة يقررون أن إعجاز القرآن يعنى وجه كون القرآن آية وقرآنا من الله جل وعلا ومعجزاً من للخلق راجع إلى ثلاثة أشياء .

أولاُ : ـ أنه كلام الله ، وكلام الله جل وعلا لا يمكن أن يسوغ البشر مثله البتة ، لأن كلام الله سبحانه وتعالى غير كلام الناس كما أن الناس متفاوتون في كلامهم فلا يمكن أن يأتي العامي بمثل كلام العالم ولا أن يأتي الجاهل بمثل كلام الأديب ، فهذا لسانه يختلف عن لسان هذا ، ولن يستطيع العوام ولو اجتمعوا أن يأتوا بمثل كلام العلماء ، وهذا بين البشر فكلام الله جل وعلا له خواصه وله ما يتصف به ، له صفاته وله خصائصه فإذا الوجه الأول من الإعجاز أن هذا كلام الله جل وعلا ، وكلام الله لا يشتبه بكلام المخلوق ولا يمكن أن يشتبه فلو أنشأ المخلوق كلاماً لا يمكن أن يكون ككلام الله جل وعلا ، بل كلام الله سبحانه وتعالى صفته ، يعنى هذا القرآن ومعلوم أن القرآن كتاب هداية ولهذا فالله جل وعلا حين تكلم به وجعل ما تكلم به من الوحي قرآنا فإنه على ما يقدر عليه الإنس والجن على ما يقدر عليه المكلفين من حيث الاستيعاب والفهم ، وإلا فكلام الله جل وعلا لا تحده حدود ، لكن هذا أعلى ما يستوعبوه ، ولا يمكن أن يستوعبوا أكثر من ذلك ولهذا لازال العلماء يخرجون من كلام الله جل وعلا الدرر والعجائب في التفسير والمعاني ، تنقضي أجيال وأمم وتفنى ولم يفطنوا البعض ما في القرآن ، ثم يأتي من يفطن لذلك وهذا راجع إلى جهات

كثيرة جهات علمية وعملية وكونية وشرعية إلى الأقسام المعروفة في إعجاز القرآن .
((النوع الثاني)) مما قرره أهل السنة في أوجه إعجاز القرآن : أن إعجازه جاء باللفظ والمعنى جميعاً ، وليس إعجازه بألفاظ دون معاني ولا بمعانٍ دون ألفاظ بل إعجازٍ بألفاظه ، فألفاظه معجزة ، وبمعانيه فمعانيه أيضاً معجزة فاتصال اللفظ باللفظ معجز ، وتركيب المعنى مع المعنى معجز ، لا يستطيع البشر على ذلك .
الثالث : ـ من الأوجه : ما يسمى بالنظم ، نظم القرآن وهو اتصال الألفاظ بعضها مع بعض ، تركيب المعاني بعضها على بعض اتصال الآيات بعضها على بعض بعضها مع بعض ، وهذا النظم مما تناوله كثيرون ، وأهل السنة يقررون على ما ذكرت لك ، فإذا عندنا في إعجاز القرآن .أنواع عند أهل السنة ، وهذه متلخصة في الثلاث هذه :
الأول : ـ أنه كلام الله ، وكلام الله لا يمكن أن يشبه كلام المخلوق ، حتى في التأثر به ، في سماعه في الخشوع له ، له سلطان على النفوس لأنه كلام الله .
والثاني : ـ أن إعجازه راجع إلى ألفاظه وإلى معانيه فألفاظه معجزة من حيث اتصال بعضها ببعض ، ومعانيه معجزة من حيث ترتب بعضها على بعض من حيث استدلالاتها .
والثالث : ـ من الأوجه عند أهل السنة ، النظم وهو اتصال الألفاظ بالألفاظ ، والمعاني بالمعاني ، والآيات بالآيات .
ومعلوم أن ترتيب الآيات توقيف .
هذه الآيات في أنواع التوحيد الثلاثة : ـ

1 ـ توحيد الربوبية .
2 ـ وتوحيد الألوهية .
3 ـ وتوحيد الأسماء والصفات .
وذلك أن قوله جل وعلا أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون أم لهم سُلمٌ يستمعون فيه فليأتِ مستمعهم بسلطانٍ مُبين
هذه في ذكر أفراد الربوبية ومن المعلوم أن الرسالة ، رسالة الأنبياء إنما هي في تقرير حق الله جل وعلا بعبادته وحده دونما سواه ، وذكر أفراد الربوبية ، وذكر الصفات لتقرير أن الله جل وعلا هو المستحق للعبادة دونما سواه ، وأن الشرك باطل لأن الذي يعبد هو المتصف بالأسماء الحسنى وبالصفات العلا وهو

* * *